

الكلمة الشفهية والكلمة المكتوبة

كان الرومان الذين اشتهروا في سن القوانين المنظمة للحياة وتطويرها واستخدامها يقولون "إن اللسان طليق، ولكن القلم مقيد". وهذا يعني أنه فيما يسهل على الإنسان أن يقول كل ما يخطر على باله من آراء وأفكار دون قلق أو حرج كبير، يصعب عليه عادة أن يكتب كل ما يجول في ذهنه من أفكار دون الأخذ بعين الاعتبار ما قد يترتب على الأفكار والآراء والمواقف التي يدونها من استحقاقات وردود فعل بعد أن تكون قد كتبت. إذ فيما تبقى الأقوال ملكاً لمن يقولها، تصيح الأفكار والأقوال المكتوبة ملكاً لكل من يقرأها ويطلع عليها، ما يجعل مسؤولية القائل أقل بكثير من مسؤولية الكاتب.

إن بإمكان أي شخص أن ينكر ما قد يُنسب إليه من أقوال سبق أن نقوه بها في مناسبة عامة أو خاصة، كما أن بإمكانه أن يتظاهر بأنه لم يعد يتذكر ما قاله في المناسبة المعنية. لكن ليس بإمكان أي إنسان عاقل أن ينكر ما كتب بقلمه وما سطر بيده على الورق أو على موقعه من آراء، وما يكون قد نشره في جريدة أو كتاب من أفكار، لأن تواجد الكلمة المكتوبة في مكان عام يجعلها في متناول يد كل إنسان معني بها. وهذا بدوره يجعل كل ما هو مكتوب ومنشور ملكاً للبشرية جمعاء، وبالتالي من حق كل شخص أن يراجعها وأن يصدر ما يراه من أحكام عليها بناء على ما يقرأه فيها من أفكار وآراء ومواقف.

إلى جانب ذلك، بينما يكون من السهل على الناس أن يتنصلوا من مسؤولية ما يقولون، فإن من الصعب جداً عليهم أن يتنصلوا من مسؤولية ما يكتبون. ولهذا قال الرومان إن اللسان طليق والقلم مقيد، لأن اللسان ينطق أحياناً في ظل ظروف يخيم عليها شعور بالفرح أو الحزن أو الغضب أو اليأس، ما يجعلها ظروفًا غير مواتية للتعبير عن رأي علمي أو موقف سياسي أو أخلاقي. أما القلم فينطق عادة بايحاء من عقل يفكر كثيراً وطويلاً قبل أن ينطق بكلمة هامة تتعلق بقضية علمية أو فكرية أو مجتمعية عامة.

حين يموت الإنسان، لا يبقى منه ويعيش من بعده سوى كلمته المكتوبة لتروي حكايته وتوضح بعض أفكاره ومواقفه وفلسفته في الحياة. إن من طبيعة الكلمة الشفهية أن لا تعمر طويلاً، وأن تكون عرضة للتلاعب والتحريف والتزوير والمبالغة، خاصة من قبل من يؤيدها ومن يخالفها. أما الكلمة المكتوبة والمنشورة في الكتب أو على المواقع الإلكترونية، فتعمر طويلاً، بل تعيش أحياناً إلى الأبد لأنه ليس بالإمكان نسيانها، كما أنها تتفادى عادة محاولات التلاعب والتزييف والتزوير والتحريف.

www.yazour.com

د. محمد ربيع